جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت - كلية الآداب
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا (الماجستير)

فتح الاندلس

إعداد :
ا. د ياسر رشيد حمد

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦ م

الاندلس:

لما أتمّ المسلمون فتح بلاد المغرب كان فتح العرب الأندلس امتدادًا طبيعيًا بعد أن تمّ لهم فتح الشمال الإفريقي فكان دخول الإسلام في أرجاء شمال إفريقية إشارة واضحة على انطلاق حركة الفتح الإسلامي لاحقًا إلى الضفة الأخرى، إلى شبه جزيرة إيبيريا التي عُرفت لاحقًا بمسمّى الأندلس....

أصل مصطلح الأندلس :

مأخوذ من قبائل (الوندال) ، التي تعود إلى أصل جرماني ، وكانت قد احتلت شبه الجزيرة الأيبيرية حوالي القرن الثالث و الرابع وحتى الخامس الميلادي ، وسميت باسمها (فاندلسيا) ، أي: بلاد (الوندال) ، ثم نُطقت بالعربية (الأندلس) ، أما مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون أحيانًا على كل هبه الجزيرة الأيبيرية – (أسبانيا والبرتغال اليوم) – ، والتي يسمونها أيضًا الجزيرة الأندلسية ، ثم استُعمل للدلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون ، وحكموها من شبه الجزيرة الأيبيرية.

وحين يُذكر اصطلاح الأندلس يُقصد به أيضًا المنطقة الإسلامية التي شملها الإسلام سلطانًا وسكانًا من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وعلى الأغلب في شمولها أيام الخلافة الأندلسية ، وتطلق اليوم كلمة (أندلسيا) بالأسبانية على المنطقة الجنوبية من أسبانيا ، وهو اصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي المبين لمصطلح الأندلس ، على أن شبه جزيرة أيبيريا عرفت بهذا الاسم ؛ نسبة إلى الأيبيريتين الذين كانوا أقدم من عَمّر هذه البلاد ، ثم أطلق عليها الرومان كلمة (أسبانيا) ، ويرجع هذا الاسم إلى تعبير لينيقي قديم ، معناه (شاطئ الأرانب) .

أما كلمة (الأندلس) – كما أشرنا آنفًا، فقد أصابها تطور في اللغة الإسبانية الحديثة؛ ولذلك نطقوها بالنطق الذي ذكرناه لكم (اندلقيا) ، وقد أصابها التطور في الدلالة كذلك ، فبعد أن كانت تطلق على (أسبانيا ، والبرتغال) ، انحصر مدلولها في جنوبي الجزيرة ، وهي تشمل الآن : المرية ، وغرناطة ، واشبيلية ، وقرطبة ، ومالطة ، وجيان ، وقادش.

بدايات فكرة فتح الأندلس

كانت فكرة الفتح الإسلامي للأندلس تعود إلى زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وذلك أن عقبة بن نافع الفهري كان يفكر في اجتياز المضيق من إفريقية إلى إسبانيا لو تيسر له ذلك ، كما أن موسى بن نصير قبل فتح الأندلس بسنوات كان قد أرسل ابنه عبد الله سنة ٨٩ هـ ففتح جزر الأندلس الشرقية أو جزر البليار (ميورقة ومنورقة ،) فكان هذا الفتح المبكر أيضاً أحد عوامل تيسير فتح الأندلس لاحقاً.

سرايا ما قبل فتح الأندلس:

ولما شرع المسلمون في فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ بقيادة طارق بن زياد، ثم بمعية موسى بن نصير لما دخل لاحقاً، كان أن أرسلوا سرية استكشافية بقيادة طريف بن مالك في رمضان سنة ٩١ هـ كان المقصد منها سبر الأحوال والأوضاع قبل دخول الأندلس [وقد عُرف الموضع الأول الذي وطأته أقدام هذه السرية بـ (جزيرة طريف) نسبةً إلى قائد هذه السرية، وتعرف إلى اليوم، وكانت سريته مكونة من ٤٠٠ رجل معهم ١٠٠ فرس عبروا المجاز في أربع مراكب.

العبور الأول لجيوش المسلمين:

كان طارق بن زياد آنذاك والياً على طنجة ، فعبر بمن معه من المسلمين في سبعة آلاف رجل متجهاً إلى الأندلس في رمضان سنة ٩٢ هـ، وذلك بعد نجاح سرية طريف بن مالك، وذلك بعد إذن له من موسى بن نصير بدخول الأندلس.

وكان أول منزل نزله في الأندلس عند المضيق = على جبل صخري سمي (جبل طارق) وما زال هذا المضيق يحمل هذا الاسم الذي سجل له في تاريخ المسلمين صفحات مشرقة، كما عرف هذا الجبل باسم (جبل الفتح).

وتسمى المنطقة الواقعة بين أوروبا وشمال إفريقية أي منطقة المضيق مضيق جبل طارق بـ المجاز أو الزقاق.

وقد ذهب ابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ) في رسالته حول فضل الأندلس إلى أن فاتحي الأندلس هم الجماعة الثانية المعنية في حديث الرسول ﷺ التي مدحها وأثنى عليها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حزام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حزام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تقلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «أناس من أمتي عرضوا عليّ، غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة». شك إسحاق قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «أناس من أمتي عرضوا عليّ، غزاة في سبيل الله». كما قال في الأول. قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت من الأولين». فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت.

إذن فالجماعة الثانية التي قال الرسول (ﷺ) لأم حزام أنها ليست منهم هم فاتحو الأندلس في رأي ابن حزم رحمه الله.

وقد بلغ عدد جيش طارق بن زياد ٧ آلاف مقاتل أكثرهم من البربر، مع وجود بعض العرب في الجيش الداخل إلى الأندلس.

أول الفتوح:

وكانت أول مدينة افتتحها طارق قبل لقاءه بلذريق (قرطاجنة)، وذكر الدكتور محمود علي مكي أن اسمها قرطاجة وكان أن علم لذريق ملك القوط بدخول المسلمين بلاده عن طريق أحد أمراءه المعروف بـ (تدمير) المنسوب إليه إقليم تدمير شرق الاندلس فسارع للقاء طارق وجيشه قبل توغلهم في البلاد فحشد جيشاً كان عدادهم قريباً من مائة ألف فلما علم طارق بما حشده من المقاتلين أرسل الى موسى بن نصير يطلبه المدد فأرسل اليه خمسة آلاف مقاتل ويعد هذا المدد هو العبور الثاني لجيوش المسلمين وكان أن تقابل الجيشان في موضع اسمه وادي لكة في ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ؛ فكان انتصار المسلمون على القوط انتصاراً ظافراً، وقد أسفرت هذه المعركة الفاصلة عن مقتل لذريق أو غرقه وانقسام جيشه بين مقتول ومأسور وفار، فكانت هذا المعركة سبباً لحسم أمور فتح الأندلس وحول ذلك يقول الدكتور محمود مكي وبهذا الانتصار انفتحت أبواب الأندلس لطارق بن زياد.

وبادر طارق فور انتصاره إلى مهاجمة مدينة إستجة فتقاتل مع حاميتها ومن فر إليها من المنهزمين فتمكن من هزيمة من بها وفتح هذه المدينة.

وكان قبل فتحه لإستجة قد فتح عدداً من المدن الأندلسية الجنوبية؛ وهي شذونة وقد فتحها بعد حصار قصير.

ومن إستجة أرسل طارق مغيثاً الرومي في ٧٠٠ رجل لفتح قرطبة ففتحها كما أرسل سرايا لفتح كل من: مالقة وغرناطة ومرسية فتم للمسلمين فتحها بكل سهول

توجه طارق بعد ذلك إلى طليطلة عاصمة القوط، فوجدها شبة خالية من أهلها الذين فروا من المسلمين، فاستولى عليها ثم فتح كلاً من وادي الحجارة، ومدينة المائدة ، ويرى الدكتور عبد الرحمن الحجي أن مدينة المائدة لعلها قلعة هنارس المعروفة أيضاً بـ (قلعة عبد السلام). ثم رجع طارق بعد ذلك إلى طليطلة.

العبور الثالث لجيوش المسلمين

وكان أن دخل موسى بن نصير الأندلس في رمضان سنة ٩٣ هـ ومعه ١٨ ألفاً، وقد عُرف الموضع الذي انطلق منه في المغرب نحو الأندلس عند دخولها بـ (جبل موسى) وقيل مرسى موسى.

وقد رأى بعض المؤرخين أن موسى ما عبر إلى الأندلس لمشاركة طارق في فتحها إلا حسداً منه لطارق، وأنه قد أهانه وضربه أيضاً، وقد رد الدكتور شوقي أبو خليل والدكتور عبد الرحمن الحجي على هذه الفرية ونفوها، وفي نظري أن ما ذهبا إليه هو الصحيح، فلموسى بن نصير فتوحات سابقة وجهود عظيمة لا تجعله يحسد طارق على ما قام به من نشر الإسلام، وأما مشاركته في فتح الأندلس فلكونه هو الأمير وطارق أحد ولاته وتدخله حرص منه على مشاركته في هذا الفضل، وأما ما قيل من معاتبته لطارق ومحاسبته فلا يصح ذلك، وقد يكون قد عاتبه على تعجله في الفتح وعدم التريث حتى يستقر الوجود الإسلامي في البلاد المفتوحة، ولكنه بعد أن لقيه توجها سويةً إلى سرقسطة لفتحها وفتح ما حولها من المدن، ثم

حين أمره الوليد بالعودة؛ رجع منها ومعه طارق فلا أدل على ذلك من تمام المودة والمحبة بينهما.

وكان أول فتوح موسى في الأندلس مدينة شذونة افتتحها عنوة، ثم فتح قرمونة عنوة أيضاً، ثم فتح إشبيلية بعد أن حاصرها أشهراً، ومنها انطلق غرباً إلى ماردا فافتتحها بعد حصار وحروب في شوال سنة ٩٤ هـ، ثم ثار أهل إشبيلية على من بها من حامية المسلمين فقتلوهم، فأرسل موسى بن نصير ابنه عبد العزيز فأعاد افتتاحها وقتل من بها، كما قام عبد العزيز أيضاً بفتح لبلة.

لقاء موسى وطارق:

بعد أن أتم موسى بن نصير فتح المدن السابقة انطلق إلى طليطلة يريد طارق بن زياد، فخرج إليه طارق فلقيه في طلبيرة ثم انطلقا من طليطلة إلى سرقسطة فافتتاحاها وما حولها من المدن في الثغر الأندلسي الأعلى.

وبعد أن أتما فتح أكثر بلاد الأندلس خرجا منها إلى الشام بعد أن أمرهما الخليفة الوليد بن عبد الملك بالعودة، فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز فكان أول ولاة الأندلس بعد حركة الفتح، وكان أن اختار إشبيلية قاعدة للأندلس وقد قام ثالث ولاة الأندلس: الحر بن عبد الرحمن الثقفي بنقل مقر الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة.

الأوضاع السياسية في الأندلس قبل الفتح:

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامي خاضعة لحكم القوط الغربيين، الذين اتسم حكمهم بالظلم والاستبداد، وفرض الضرائب الباهظة على السكان، خاصة الفلاحين وأصحاب الديانات الأخرى.

كما شهدت مملكة القوط صراعات داخلية على الحكم، وانقسامات حادة بين النبلاء ورجال الكنيسة، مما أضعف الدولة وأفقدها الاستقرار. وقد أدى هذا الضعف السياسي والاجتماعي إلى تذمر السكان، فكانوا على استعداد لقبول أي قوة جديدة تخلصهم من الظلم الواقع عليهم.

(مكتوب بخط اليد: س/ عدد أسباب فتح الأندلس / س/ أهم الأسباب لفتح الأندلس)

أسباب فتح الأندلس:

يمكن تلخيص أسباب فتح الأندلس في مجموعة من العوامل المتداخلة، من أبرزها:

١- الدافع الديني: سعي المسلمين إلى نشر الإسلام وإيصال رسالة التوحيد إلى شعوب جديدة.
٢- الضعف الداخلي للقوط: نتيجة الصراعات السياسية والظلم الاجتماعي.
٣- طلب المساعدة من بعض حكام الأندلس، مثل حاكم سبتة (يوليان)، الذي لجأ إلى المسلمين لمواجهة الملك لذريق.
٤- قوة الدولة الأموية واتساع نفوذها في شمال إفريقيا بعد استقرار الحكم الإسلامي فيها.
٥- الدافع الاستراتيجي لتأمين حدود الدولة الإسلامية الغربية .

إنَّ فكرة فتح الأندلس كانت قديمةً وهي تعودُ إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان فاتحوها ثاني الجماعتين اللتين أشاد بهما رسول الله ﷺ وهو من معجزاته في حديثٍ شريفٍ عن فضل الجهادِ في البحر. وبعد أن فتح المسلمون شمال أفريقية واستقروا بها سنة ٦٣ هجرية توجهت الأنظار إلى فتح الأندلس وكانت أول محاولة استكشافية سنة ٩١ هجرية حين أرسل موسى بن نصير سريةً مؤلَّفةً من خمسمائة فارسٍ في أربعة مراكب بقيادة أبي زرعة طريف بن مالك المعافري وقد تكللت تلك الحملة بنجاحٍ فأعقبها فكرة الفتح. حيث تولَّى قيادة الجيش طارق بن زياد سنة ٩٢ هجرية وكان يتألف من سبعة آلاف مقاتل وكان العبور من سَبْتَة بمراكب تجارية قدَّمها لهم "جوليان" حاكم سبتة. وتذكر الروايات أنَّ جيش العدو بلغ أربعين ألف مقاتل في أقل تقدير وفي بعض الروايات أنها بلغت مائة ألف مقاتل وقد عُرفت تلك الواقعة بأسماء كثيرة منها معركة البحيرة أو وادي لكة أو وادي البرباط. وتشير الأخبار إلى أنَّ القوط استهانوا بالمسلمين حتى أنهم جلبوا معهم ما يحملون به الأسرى من المسلمين لكنَّ النصر كان مؤزراً للمسلمين. واستمرَّ الفتح عدَّة سنوات توغَّل فيها جيش طارق ابن زياد في أعماق شبه الجزيرة وكانت أنباء الانتصارات تصل مسامع موسى بن

نصير بالقيروان واستجاب لطارقٍ بإمدادات جديدة وسلك طريقاً آخر غير الطريق الذي سلكه طارق ليكمل عملية الفتح.

عصور الأندلس:

لابدَّ لدارس تاريخ الأدب الأندلسي أن يتعرَّف على المراحل التاريخية التي تعاقبت على الأندلس ممثلة بالأنظمة السياسية التي حكمت شبه الجزيرة. لأنَّ الأدب في مجمله جارى تلك الأحداث السياسية وتفاعل بها. وانطوى تحت ظل العهود التاريخية التي سادت آن ذاك.

وتنقسمُ عصور الأندلس منذ الفتح إلى أن احتلَّها الإسبان لخمسة عهود وهي:

١- عهد الفتح والولاية : (٩٢ _ ٩٥) (٩٥ _ ١٣٨)

ويشمل هذا العهدُ فتحَ الأندلس بقيادةِ طارق بن زياد . ثم أعقبه عهد الولاة التابعين لخلفاء لبني أمية في دمشق وقد كان أولُ والٍ هو عبدالعزيز بن موسى بن نصير وآخرُ الولاةِ يوسفُ الفهري وتولى خلال هذا العهد عشرين والياً

٢ - العهد الأموي (الإمارة ، والخلافة ، والحجابة ، والفتنة) (١٣٨ ، ٣١٦ ، ٣٦٦ ، ٣٩٩)

ويستهلُّ هذا العهد بدخول عبدالرحمن بن معاوية الأندلس وقضائه على آخر والٍ كان يحكمها . حيث تنقطع الأندلس عن الخلافة ببغداد ويتولى حكم الأندلس سبعة أمراء من بني أمية آخرهم "هشام المؤيد بالله" وكان حدثاً صغيراً سنة ٣٦٦ هجرية . مما جعل الحاجب المنصور هو الحاكم الحقيقي للأندلس . ولذلك عُرف العهد بالحجابة . وقد تولى بعده ولداه عبدالملك وعبد الرحمن . وفي عهد الأخير تضعفُ الدولة وتضطرب الأمور وتنتقل الأندلس إلى عهد جديد هو عدُّ الفتنة واستغرق عشرين عاماً حكم خلاله ثلاثة عشر حاكماً . ثم انفرط عقد الأندلس وتحولت إلى دويلات صغيرة تحكمها أسرٌ مشهورة.

٣ _ عهد ملوك الطوائف والمرابطين (٤٠٠ _ ٤٤٨) (٤٤٨ _ ٥٤٠)

بدأ عهد ملوك الطوائف بسقوط الدولة الأموية وقيام ممالك مستقلة بشكل دويلات . وقد حكمت الأندلس أسر كثيرة وكيانات متنوعة . ولم يستمر الحال بملوك الطوائف . حيث عادت الأندلس إلى وحدتها السياسية بدخول المرابطين وقضائهم على ملوكها . بقيادة "يوسف بن تاشفين" واستمرَّ حكم المرابطين نصف قرن . حيث أصبحت الأندلس ولاية مرابطية.

٤ _ عهد الموحدين (٥٤٠ _ ٦٢٠)

ويبدأ هذا العهد بمجيء عبد المؤمن بن علي خلفاً لمحمد بن تومرت الذي أسس هذه الدعوة وغلب المرابطين وخضعت الأندلس لحكمهم وأصبحت ولايةً تابعةً للمغرب واستمرَّ عهدهم قرناً من الزمن

٥ _ عهد دولة بني الأحمر في مملكة غرناطة (٦٣٥ _ ٨٩٧)

وتقوم هذه الدولة في رقعةٍ صغيرةٍ من الأندلس التي سقطت بأيدي الإسبان وبقي المسلمون تحت سيادة بني الأحمر قرنين ونصف . ويمثّل عهدهم نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس . حتى تسقط دولتهم لتؤذن بغياب شمس الأندلس الساطعة بعد حضارةٍ إسلاميةٍ زاخرةٍ استمرت ثمانية قرونٍ ونيّف